

جماليات توظيف التاريخ وهاجس التصحيح في رواية شعلة المايدة ل: محمد مفلح

The aesthetics of employing history and the obsession with the correction in
"the novel "She'alah al-Mayda

د. مريم عزي*

جامعة عين تموشنت - بلحاج بوشعيب

Meriemazzi83@gmail.com

تاريخ الوصول: 2021-11-11 تاريخ القبول: 2022-04-10 تاريخ النشر: 2022-05-13

ملخص:

عَمِلَ الروائي الجزائري منذ نشأت فنّ الرواية العربية الجزائرية - كغيره من روائي العالم - على تطوير عمله من خلال مدّ جسور التلاقح والترابط مع مجالات مختلفة؛ وعليه ارتى هذا المقال تقديم روائي من الروائيين الجزائريين الذين شقّوا طريقهم في مجال كتابة الرواية التاريخية ألا وهو محمد مفلح وروايته شعلة المايدة التي لم تكن الوحيدة من نتاجه الموظفة للتاريخ؛ فعن ماذا تتحدّث؟ وما الهدف من كتابتها؟ وضمن أيّ صنف يمكننا تصنيفها؟ وما هي مرجعياتها التاريخية؟ وإلى أيّ درجة بلغ توظيف صاحبها للحادثة التاريخية؟ وفيما تكمن جماليات هذا التوظيف؟ أسئلة نظرحها في هذه الورقة البحثية ساعين إلى لفت إنباه القارئ إلى حقيقة هذا العمل الروائي .

ومن النتائج المتوصل إليها أن رواية شعلة المايدة تصنّف ضمن الرواية الجزائرية التاريخية التي حقّقت نضجا فنياً أدبيا من حيث العناصر السردية، المستدعية للحادثة التاريخية لا لتحقيق جماليات الإستحضار وحسب أو لتعليم الناشئة تاريخ وهران، وإنما لتوثيق صحيح بغية توصيل حلقة مفقودة. كما يبنى فعل التجريب في هذه الرواية على هاجس التصحيح دون المساس بالخصوصية الجمالية للعمل الأدبي عامة وللفن الروائي خاصة.

الكلمات المتاحية: الروائي محمد مفلح ، الرواية التاريخية، المرجعية التاريخية، الجمالية ، التصحيح

Abstract: Since the emergence of the Algerian Arabic novel, the novelist has developed his work through attaching interconnecting it with different fields as many other novelists in the world. In fact, this article intends to introduce one of the Algerian novelist who made their way in the field of historical novel. Namely novelist Mohamed Miflaah and his novel "Sha'alah al-Mayda," which was not the only that makes use of history. So, what is the novel talking about? What is the purpose of this piece of writing and in which category it can be classified? and what is its historical reference? Where do the aesthetic use lie? These questions are raised in order to draw the attention to the authenticity of this literary work.

* - مريم عزي أستاذة بجامعة عين تموشنت - بلحاج بوشعيب Meriemazzi83@gmail.com

Indeed, the results show that the novel "She'alah al-Mayda" is classified among the Algerian historical novels that has achieved artistic literary maturity in terms of narrative features for historical event. This is not only to reach conceivable aesthetics, or to teach the young generation the history of Oran, but rather, to properly document to reach the missing link. In fact, the act of experimentation is built on the obsession of correction without affecting the aesthetic specificity of the literary work in general and fictional art in particular.

Key words: Muhammad Miflaah – the historical reference – historical novel – the aesthetic – correction.

1. مقدمة:

عَمِلَ الروائي الجزائري منذ نشأت فنّ الرواية العربية الجزائرية - كغيره من روائي العالم - على تطوير عمله من خلال مدّ جسور التلاقح والترابط مع مجالات مختلفة تطعيما لعمله الأدبي من جهة، وانفتاحا وبيانا منه على مواكبته لما يحدث، وارتباطا بمجتمعه من جهة ثانية، هذا ما جعل الفنّ الروائي ينتزع الإهتمام إنتزاعا "لقدرته الفائقة في تمثيل المرجعيات الثقافية والنفسية والاجتماعية والتاريخية (...). فمثلما صوّرت الرواية العربية في القرن التاسع عشر الحراك الإجتماعي بما في ذلك منظومة القيم العامة والذوق الأدبي السائد والتصوّرات الجماعية عن الذات والآخر تخوض (...). الآن تجربة الرهانات الكبرى في التمثيل فتسهم في صوغ تصوّرات عن عالمنا بأنساقه الثقافية والقيمية والدينية وصراعاته وتناقضاته الكبرى"¹

وعليه أصبح "الفعل الإبداعي على مستوى النص الروائي الجزائري المعاصر، يكشف عن مسارات التحول التي لامست مكوّنات المتن ومستويات التعبير، وهو يحاور مفردات البنية السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري، ويستثمر مقولات الخطاب الحدائي، ساعيا إلى تخليق رؤية واعية حول الذات والمجتمع والكون من جهة، وتوفير إبدالات خاصة [تعمل على] إستحداث نصوص قادرة على ابتلاع الأجناس وتوظيف جمالياتها، وتكون وعاءً يستوعب تلوّن الحكاية وتقاطع الأساليب، وتعدّد اللغات"² لذا أصبح إضافة إلى ذلك بإمكان الناقد العربي عامة والجزائري خاصة تصنيف الأعمال الروائية حسب تيارات واتجاهات وأبعاد مختلفة.

فجاءت الرواية الواقعية، وكذا الوجودية، والرواية ذات البعد النفسي، وكذا الأيديولوجي، وأخرى تحمل بين طياتها صراعا حضاريا لم ولن يفتر ما دام هناك عالمين شمال (متقدّم) وجنوب (متخلّف)، كما جاءت الرواية التاريخية التي هي محور هذا المقال؛ رواية قطعت بدورها أشواطاً منذ نشأتها بحثاً عن الكمال والنضج فسجّلت تطوّراً ملحوظاً عبر مراحل كان لا بد لها من الوقوف عندها، لتسجيل ما يمكن تسميته بالتطوّر المنطقي الذي تستدعيه حاجة الانتقال، فكانت كل مرحلة هي إستمرارية وإضافة لسابقتها فجاءت الرواية التاريخية بأصنافها الثلاثة:

2. الرواية التاريخية:

1.2 . الرواية التاريخية التعليمية:

التي إتخذت من الفنّ الروائي معبرا لنقل الأحداث التاريخية حاملة في طياتها هدفا تعليميا لذا "لم تكن نوعا من الترف الفنيّ أو المتعة الجمالية الخالصة بل كانت وما زالت فتنا يؤدي دورا نشطا في تحريك الأذهان وشحنها

بالقيم والأفكار تجاه الماضي والواقع معا والتطلع نحو الغد (...). لذلك لم تتوان الرواية التعليمية المتكئة على التاريخ عن إعلان غايتها وأهدافها³ لتكون بذلك إستجابة لظروف مُلحة أحاطت بالروائي فدفعت به إلى الجنوح إلى مثل هذا النوع من الروايات.

2.2 . رواية النضج:

جاءت بعد الرواية التاريخية التعليمية بل "كانت مرحلة التعليم التاريخي ضرورية وممهدة فيما أتصور لرواية النضج التي تناولت التاريخ بأحداثه وشخصه وملاحمه تناولاً فنياً ووفقاً لأسس واضحة ومعروفة (...). فاستطاع روادها كتابة رواية فنية ناضجة تتحقق فيها العناصر البنائية للرواية المتكاملة لغة وحوارا وشخصية وأحداثا وحبكة وتشويقا، واستطاعوا في الوقت ذاته توظيف أحداث التاريخ وشخصياته فقدموا روايات تخدم قضايا معاصرة مع إحتفاظ التاريخ بحقيقته وطبيعته"⁴ وعليه يمكنني الجزم بأن الرواية العربية في هاته الفترة شهدت تطورا ملحوظا في الكم والكيف .

3.2 . رواية الإستدعاء التاريخي:

وهي التي "تتخذ التاريخ وسيلة لمعالجة قضايا معاصرة وأغلبها يرتبط بغايات سياسية وحضارية دون التزام صارم بوقائع التاريخ (...). وقد يستدعي الروائي شخصية تاريخية ويبعثها في الواقع ويحركها ويواجهها بالناس والأحداث ليفسر موقفه من قضية ما، أو يشرح كيفية معالجتها والتغلب عليها والتخلص منها أو بلورتها وتطويرها وإثرائها.."⁵ لتغدو بذلك الرواية وعاءً يستوعب التاريخ فيوظفه خدمة للعمل الأدبي من الناحية الفنية والجمالية وقصدا للمنفعة والفائدة وبغية تقويم إعوجاج وإصلاح، أو أخذ عبرة ليحيا بذلك التاريخ في الأعمال الروائية مهما كانت الأهداف .

إنّ إستيعاب الرواية العربية للأنساق الثقافية المختلفة لم يُخل بخصوصيتها الفنية والأدبية بل "استطاعت تقبل مختلف الأنبيّة والأنساق الجمالية (...). وقد وفقت في إختراق عالم الحداثة خلال تطويرها لأدواتها الفنية وتطوير لغتها. وخاصة السردية منها وأدرجت تعقيدا في حيكها"⁶ ما جعلها جديرة بمنافسة الفنون الأدبية الأخرى شكلا ومضمونا.

ومن الروائيين الجزائريين الذين شقوا طريقهم في مجال كتابة الرواية التاريخية أذكر على سبيل المثال محمد مفلح الذي ستكون لنا وقفة مع إحدى رواياته ألا وهي شعلة المايدة؛ فعن ماذا تتحدّث ؟ وما الهدف من كتابتها؟ وضمن أيّ صنف يمكننا تصنيفها؟ وما هي مرجعياتها التاريخية؟ وإلى أيّ درجة بلغ توظيف صاحبها للحداثة التاريخية؟ وفيما تكمن جماليات هذا التوظيف؟ أسئلة نطرحها في هذه الورقة البحثية ساعين إلى لفت إنتباه القارئ إلى حقيقة هذا العمل الروائي.

3 التعريف برواية شعلة المايدة

هي رواية تضم حادثة تاريخية وقعت إبان العهد العثماني ألا وهي تحرير وهران من الإحتلال الإسباني سنة 1872، فجاءت تصوّر المجتمع الجزائري في تلك الفترة؛ حيث ظهر متماسكا وتجلّى ذلك من خلال تماسك أسرة البطل التي

جاءت مهمّة بالعلم عاملة على نقله؛ فراشد "حفظ القرآن الكريم على يد والده، كما حفظ منظومة شرح ابن عاشر ورسالة أبي زيد القيرواني على يد مدرسي زاوية مينه ثمّ ساعد والده في تعليم الأطفال"⁷ وعليه جاء الأب شيخ كتاب ليحمل الابن مشعل التعليم بمساعدته وفي ذلك دلالة على وعي الأسر الجزائرية بأهمية العلم وضرورة تعلّم الأجيال مهما كانت الظروف.

كما انتقل راشد إلى مدرسة مازونة طالبا للعلم وللحصول على إجازة شيخها "فأمضى أوقاته في حلقات الدرس يلتقي الشروح في مختصر الشيخ خليل بن إسحاق، وألفية بن مالك، وصحيح البخاري، والعقيدة الصغرى في أصول الدين، وسلم الأخضرى في المنطق، وقد نال بعد جهد كبير إجازة من الشيخ أبي طالب نفسه"⁸ ليكون بذلك طلب العلم شغله الشاغل لاسيما وأنه ابتعد عن أسرته ساعيا إلى تحقيق أمنية والده وجده الهاشمي رحمة الله. كما جاءت الرواية تحمل بين ثناياها عادات وتقاليد المجتمع الجزائري؛ فظهر الابن راشد مطيعا لوالده محترما للكبار، مصغيا لنصائحهم "ألقي التحية بصوت خافت وهو يدخل الخيمة ثمّ اقترب من عمّه الحاج يحي فلثمّ عمامته التوتية النظيفة وجلس بجانب والده (...). ثمّ راح ينصت إلى عمّه الذي كان يتحدث"⁹ فالتحدّث بصوت خافت وتقبيل الرأس، والجلوس، والإنصات للحديث، كلّها أفعال تدلّ على الاحترام والطاعة والإكبار "قالت له سكينه بقنوط: والدك يعارض زواجك بيمينه، لأنّ والدها أصبح في نظره يحترق الشعوذة (...). فزوجها الأمر والنهي في الخيمة، راشد الذي ازداد شوقه إلى يمينه (...). لا يستطيع أن يتحدى والده لكنه ظلّ ينتظر اللحظة التي يعثر فيها على الشخص الذي يتوسّط له لدى والده"¹⁰ فالأب هو الأمر النهائي، وربّ الخيمة، لذا لا رغبة تُحترَم تتعارض ورغبته، ففي النص إشارة إلى السلطة الأبوية التي تُناقش المسائل بتقديم المبررات لا لتقتنع بوجهة نظر الآخر، ولكن لتجعله مُقتنعا برأيها لأنّ القرار الأوّل والأخير لها، فقنوط الأم دليل وتأكيد على تلك السلطة التي سرعان ما تتحوّل إلى سلطة ذكورية بدليل عبارة (في نظره).

ومن العادات والتقاليد قيام الأفراح والأعراس التي كانت متنفس السكان لنسيان ما يواجهونه من صعاب "حُملت مهدية العروس المتأنقة على حصان أحمر، وزغردت النساء في فضاء الدوّار وهنّ يلوّحن بالناديل الملونة التي علّقت على شكل رايات على رؤوس العصي (...). ورافقت موكب العروس بغلة كانت تحمل أفرشة صوفية مزركشة بألوان زاهية (...). وصندوق خشبي يحتوي الفساتين القطنية وأدوات التجميل التقليدية"¹¹ هكذا ينقل السارد صورة الاحتفال بوصف مفصل حيث تحدّث عن أدق التفاصيل (الخطبة وكل ما يتعلّق بالزفاف) "وفي ليلة الزفاف ترعب المطرب حمو الحنان على زربية عريضة (...). واحتضن آلة القلال وبدأ النقر على فوّتها الجلدية بخاتمه الفضي، كان الحفل بهيجا استمتع فيه رجال المنطقة لأحلى قصائد الشعر الشعبي (...). وحضر رجال الدواوير وضيوف قديموا من قبائل المنطقة الشرقية لبابليك الغرب"¹² وعليه إن التعبير عن الفرحة بالزغاريد والأغاني والإطعام عُرف تعارف عليه الجزائريون منذ القديم.

كما كانت هناك إشارة إلى فكرة التداوي بالأعشاب والأحراز، كما فعل سي الطاهر والد راشد وما ذلك إلا دلالة على أنّ سكان المنطقة كانوا يتداون بالأعشاب والأحراز التي تقدّم لهم من قبل المشايخ وزيارة الأضرحة والتبرك بأولياء الله الصالحين كانت أيضا من الأمور التي وردت في الرواية بدءاً برؤية الشيخ جلول التي ظلت راسخة في

ذهنه وذهن كل من سمعها لأنّ تأويلها كان يُبشّر بتحرير وهران من أيدي الإسبان "أتمنى أن تسمح لي الظروف بزيارة ضريح سيدي عبد الرحمن، ابتسم محمد الشلبي قائلاً: سنوره ولكن ليس قبل أن نتصدى لحملة أوريلي"¹³ ما يوحي على أنّها أمور لم يكن يعارضها رجال الدين ولا حتى رجال العلم بحكم انحدار راشد من أسرة ذات علم ودين؛ لكنها كانت تنفر من الشعوذة وترفضها بدليل رفض الوالد تزويج ابنه من يمينة ابنة دجال مشعوذ يسعى إلى إستخراج الكنوز من المدن الدارسة .

إلى غيرها من الأمور التي تُخرُج الرواية من الحادثة التاريخية فتربطها بأمور حياتية تتعلّق بالإنسان البسيط الذي يمارس حياته العادية ويحمل في نفسه هاجسين: هاجس الحب والإرتباط بالمُحِب عن طريق الرِباط الشرعي ألا هو الزواج (حبّ راشد ليمينة)، ورغبة طلب العلم لتحقيق أمنية الأب والجد المصاحبة لهاجس تحرير وهران الذي أصبح يسيطر على الفكر والقلب والوجدان ما جعل الروائي **محمد مفلح** يُخرج القارئ من جفاف مادة التاريخ إلى جماليات الفن الأدبي .

4 تجليات التاريخ:

يتجلى التاريخ في رواية **شعلة المايادة** في بثّ السارد لتواريخ تؤرّخ للحادثة التاريخية حرصاً من الروائي على ربط القارئ بتفاصيل تؤثّق كل ما جرى من أحداث سبقت مسألة تحرير وهران فوردت التواريخ الآتية:

1.4 يوم الاثنين 27 من شهر جوان 1772:

تمّت في هذا التاريخ زيارة الخليفة الأكحل وهو محمد بن عثمان الكردي الذي " جاوز عمره الثلاثين متوسط القامة، قويّ البنية، أسمر الوجه، أسود العينين، واسع الجبهة، ولحيته سوداء كثيفة تصل صدره وشواربه غزيرة طويلة... كان والده الباي، وهو صهر باي معسكر"¹⁴ إستقبله أهل المنطقة بالهتاف والحماس يطالبونه بالجهاد لبيان رغبتهم في إخراج العدو من بلادهم، فكان ذلك الهتاف أول خطوة نحو الألف ميل، كما كان ذلك التاريخ القاتل الذي أنار دروب تحرير وهران .

2.4 حملة أوريلي

واستنجد الباي بالمشايخ ورجال القبائل والعشائر بالتطوّع من أجل ردّ الحملة والدفاع عن منطقة الجزائر من كل الجهات "يا شيخنا الفاضل.. الجزائر ستعرض قريباً لهجوم الغزاة الأسبان وحملتهم ستكون هذه المرة ضخمة جداً، وقد أصدر مولانا الباشا -نصره الله- أوامره إلى كل البايات للقدوم بالجيش إلى مدينة الجزائر للدفاع عن سواحلها، كما دعا شيوخ القبائل إلى المشاركة بالمتطوّعين في الحرب، وقد كلف سيدي الباي خليفته سيدي محمد بن عثمان لقيادة بايليك الغرب.."¹⁵ حدث إرتبط بالحدث الأول، بل جاء إستجابة لهتاف وحماس الأهالي، ما يُوحي بتتابع سرد التواريخ والأحداث.

وعليه تمّ الإتفاق على أن "سيدي الخليفة سيعسكر بعد يومين ببطحاء سيدي عابد من جهة وادي ارهيو. ومن يريد الإتحاق بالبايليك سمنحه اللباس والسلاح، أما إستقبال الطلبة المتطوّعين فسيكون بحي القصبية، حرّك الشيخ أبو طالب يمناه وقال بحدوء: لن يهدأ لنا بال حتى يتحرّر كل شبر من وطننا"¹⁶ ذكر السارد

تفاصيل هذه الحملة والتجهّز لردّها تقنية سردية تجعل القارئ أكثر تماهيا مع أحداث الرواية التاريخية، إضافة إلى حماس الأهالي الذي يشحذ بدوره حماس المتلقي فيزيده تشويقا، كما أن تحريك الشيخ يمناه بهدوء إعراب عن اليقين والثقة التي امتلكتها الفئة الحكيمة الممثلة في الشيخ أبي طالب؛ كلها أمور تغزل الخيط الرفيع الذي لا يُرى بالعين المجردة ولكن يُشعر به واصلا بين ما هو تاريخي ممثلا في الحملة، وما هو فني أدبي ممثلا في عنصري الوصف والتشويق، وما هو واقعي المانح للرواية صدق التجربة.

3.4. التذكير بمعركة مزغران 1558:

التي إنتصرت فيها الجزائر على الغزاة والتي قتل فيها القائد الإسباني ((الكونت داكودات))، شحذا للهمم ورفعاً للمعنويات، من أجل بيان إمكانية تحقيق النصر على الغزاة وهو حدث يرتبط أيضا بالحدثين السابقين .

4.4 الجمعة 30 جوان 1775:

إحتدام المعارك لردّ حملة أوريلي التي إنتهت بتحقيق النصر ضد المعتدي صاحب العدة والعتاد

4.5. التاسع ديسمبر 1791:

الإتفاق على إنسحاب اسبانيا من وهران "تمّ جاء النبأ الذي أسعد راشد وسكان البايليك لقد طلب ملك أسبانيا الصلح ولكن داي الجزائر رفض ذلك إلا بعد خروج العدو من أرض الجزائر. وفي يوم التاسع من شهر ديسمبر 1791. تمّ الإتفاق الذي نصّ على إنسحاب أسبانيا من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط." ¹⁷ إتفاق سياسي نجم عن ما كان يحصل في ميدان معركة التحرير .

4.6. مطلع 1792 :

إنسحاب الإسبان التام من وهران "شهد راشد وهو يبكي بداية إنسحاب الأسبان الذي إنتهى في مطلع 1972" ¹⁸ فأقيمت الإحتفالات والأفراح بتحقيق النصر والعودة إلى وهران لتنتهي بذلك الحادثة التاريخية ويواصل السرد الأدبي مشواره لبيان أمرين :

أولهما يتعلّق بفكرة إعادة إعمار وهران على أيدي أبناء المنطقة بعد الخراب الذي لحق بها "...سمعت أنّ الباي طلب من الجميع المساهمة في تعمير وهران" ¹⁹ وفي ذلك إشارة من الروائي إلى أن إستئناف الحياة وقيادة المرحلة الإنتقالية يبدأ بفكرة الإعمار.

ثانيهما يتعلّق بما كان يجب على الأهلي فعله حتى لا يتم تزييف التاريخ؛ ألا وهو كتابة تاريخ وهران بأيدي أبنائها الذين عاينوا الحدث وشاركوا فيه، ولن يكون ذلك إلا بأيدي النخبة المثقفة وشهود العيان فجاء العازم على الكتابة مُطلِّعًا مُستفِيدًا من كتب كثيرة تتحدّث عن تاريخ وهران ومخطوطات تحصّل عليها من مكتبة مازونة ولكنه بحاجة إلى من يذكّره بما حصل ²⁰ فالأمر ليس باليسير واليد الواحدة لا تصفق كما يقول المثل، فالمؤرخ مُتخوّف ولا يستطيع حمل هذا المشروع على كاهله، لذا يطلب المساعدة ممن شارك في المعارك وعان ما كان يحصل .

أمران تكتمل بهما حلقات السرد المفعمة بالحيوية الحاملة لرؤى غد أفضل المُلخصة في رحلة العائلة الصغيرة من ضواحي مدينة معسكر إلى وهران، فيسدل ستار السرد مع حركة توديع العم والجيران لراشد وأسرته الممثلة في الأم والزوجة والابن الصغير.

5 كيفية التوظيف:

توظيف الحادثة التاريخية في رواية شعلة المائدة للروائي محمد مفلح كان توظيفاً فنياً مؤسساً على التصحيح المصاحب للبرهنة والتعليل الجالب للحجة الدامغة:

1.5 الجماليات:

ما قام به محمد مفلح في عمومها؛ عملٌ حَقَّق النضج الفني بتماهي تاريخ وهران مع السرد الروائي فلم تأتي النصوص التاريخية مفصلة عن الأحداث السردية، بل جاءت مبنوثة بين الحين والآخر في شكل أخبار تتناقلها ألسن الأبطال، ما جعل ذلك قيمة جمالية في حد ذاته فلا شرح ولا إعوجاج في صوغ تاريخ تحرير وهران سرداً؛ فالروائي ربط بينهما بخيط رفيع بدليل أن فكرة تدوين تاريخ وهران الصحيح الذي نوه إليه في خاتمة الرواية ظل مشروعاً يجعل القارئ أمام احتمالين.

كما عمل الروائي على الابتعاد عن جفاف المادة التاريخية باستعمال عنصر التشويق والمماثلة فقد بدأت الرواية بمحدث عن رؤية الشيخ جلول التي تنبؤ بتباشير النصر وتحرير مدينة وهران من قبضة الإسبان، ثم كان هناك إنتظار تحقق الرؤية، فكل حادثة تحدث تجعل السكان يتذكرونها ويربطونها بما يحصل "ذكر الشيخ جلول الذي لم يمل من ترديد رؤياه.. إليه يا لها من رؤيا!.. متى تظهر شعلة المائدة فتذيب الثلوج عن المدينة الذهبية، متى يترجع الشيخ الوقور على جبل المائدة سلطان جبال وهران؟ ومتى يحين وقت الفارس الذي يتسلم السيف الذهبي؟ ثم همس بشوق متى نعود إلى وهران"²¹ ما جعل القارئ كذلك يسعى لإتمام الرواية بغية معرفة تأويل تلك الرؤية -التي منذ البداية- حُدد المغزى منها حيث طُبعت بالصدق وإمكانية التحقق، فلم ينظر إليها السارد على أنها مجرد حلم أو أضغاث أحلام.

كما أن الجميل في الرواية حين يستطيع قارئها إسقاط الحادثة التاريخية على ما يعيشه في حياته فيدرك أنّ تغيير المستحيل يصبح ممكناً إذا ما تشبّع المرء باليقين والعزيمة لاسيما وأن الروائي الجزائري هو الآخر نهل بنهم شديد من مخزونه الميثولوجي وأفاد منه في مرجعيته التراثية الخالدة (...). التي أثرت كثيراً عمله الروائي إما على المستوى الجمالي أو الفني بحيث وفرت له بناء هندسياً محكم الصرح أو حتى على مستوى الموضوعات بحيث تكشف مادة غزيرة مدعمة لفكرة الإيهام الواقعي (...). لتعميق المضامين ولسبكها وتجميلها، باعتبارها وسيلة مساهمة في تشكيل جماليات الفن"²² لترتسم بذلك قيمة جمالية أخرى تجعل من التاريخ المصاغ أدباً حياً ما بقي ذلك العمل الفني راسخاً في أذهان الأجيال.

وأى تاريخ يجب محمد مفلح إحياءه؟، تاريخ صحيح بعيد كل البعد عن الزيف والمغالطة فيها هو ذا ينوّه في المقطع السردى الأخير من الرواية إلى ضرورة كتابة تاريخ التحرير بأقلام أبناء منطقة وهران لتُحفظ الحقائق في حوار يستدعي الإمعان "إنني أفكر في الكتابة عن المعارك التي خُصناها ضد العدو.

وقال راشد: فكرة جيدة... سأساعد في نسخ كتابك .

وقال محمد الشلبي: بلهجة أسيفة: أخشى أن تمنعني ظروف الحياة من إنجاز هذا العمل (...). ثم تابع [راشد] قائلاً: أتمنى أن تنجز عملك²³؛ حديث جعل القارئ أمام احتمالين أولهما يقضي بإمكانية تدوين ذلك التاريخ وبأن الفكرة واردة بدليل الجملتين المذكورتين في الحوار: (أفكر)، و(فكرة جيدة) بمعنى أن الفكرة وُجدت وتمّ إستحسانها. وإحتمال يجعل من الفكرة مجرد إقتراح تدخلت فيه سلطة كاتب النص الروائي لأنه لم يستطع إعلانها صراحة فجاءت على لسان شخصياته بدليل جملة (بلهجة أسيفة) الواصفة لقول محمد الشلبي والفعل (أتمنى) الوارد على لسان راشد.

2.5. التصحيح

ربما يسأل سائل من أين جاءت فكرة هذا التصحيح؟ "إن التاريخ علم أساسه: الأحداث التي تصنعها الأمم ويضحي من أجلها الرجال"²⁴ لذا ينبغي أن يكون الإمتنان والإعتراف على قدر تلك التضحيات، وأي إعتراف أقوى من أن يعمد الروائي إلى تصحيح ما يراه إجحافاً في حق أولئك الذين باعوا أنفسهم من أجل تحرير أوطانهم.

تصحيح جاء في رواية شعلة المايادة مصحوباً بالدليل ممثلاً تارة في خطاب الخليفة الأكلح محمد بن عثمان الكردي أمام الجمهور المحتشد من أبناء زمورة والقرى المجاورة: "يا رجال الأعراس العتيدة يا علماء مشايخ الزاوي المباركة. لقد أبلتكم في الدفاع عن الوطن البلاء الحسن، كما شاركتكم بشجاعة نادرة في حروب مقاومة الأسباب منذ أيام مولانا العظيم خير الدين وساهتم في عهد مولانا محمد بكداش باشا في تحرير وهران"²⁵ جاء مؤكداً لما كان يرويه الحاج الطاهر والحاج يحي في بداية الرواية عن بطولات أهل المنطقة وبسالتهم من أجل معركة التحرير "سنعود إلى وهران عما قريب فاستعدوا للمواجهة (...). سنحررها من الغزاة سيّدنا الباي - حفظه الله - على علم بحماستكم للجهاد ولكن يجب أن نعدّ العدة للقضاء على العدو فالأسبان بعد إحتلالهم المدينة العريقة إستولوا على كل أبراجها وتحصنوا بها، ثمّ إنهم يمتلكون المدافع الحديثة"²⁶ وفي حديث سكان منطقة زمورة والقرى المجاورة لها والتذكير بالأحداث والوقائع حفظ لتاريخ الأبطال فذاكرة الشعوب تتناقلها الأجيال جيلاً عن جيل.

3.5 الدلائل:

لم يعدم محمد مفلح وسيلة يثبت من خلالها أحقيّة أهل المنطقة بتحقيق النصر وطرده الإحتلال الإسباني من وهران فذكر ما يلي:

مسألة أسبقية الجهاد: وتقديمه على كلّ مصلحة شخصية، إذ عند زيارة الخليفة محمد بن عثمان منطقة زمورة "هتف الحاضرون بقوة وحماس الله أكبر الله أكبر الله أكبر، اللهم صلي وسلّم على محمد وعلى آل محمد، ثمّ تعالت الأصوات مردّدة بحماس الله أكبر الجهاد... الجهاد يا أبا عثمان"²⁷ وبالتالي لم يجرأ مشايخ المنطقة على المطالبة بتخفيض الضرائب "الشيخ حسين الغمار لم يطرح عليه قضية الضرائب المحجفة المفروضة على سكان القبيلة (...). الشيوخ والأعراس هم الذين قرّروا أن ينتظروا فرصة أخرى للحديث عن أمر الضرائب الوقت لم يكن مناسباً، الجماهير كانت تنادي بالجهاد"²⁸ فمسألة الضرائب مهمة لكن أهميتها لن تكون أهم من الجهاد.

مسألة حماس الجماهير: بما فيهم البطل الذي يمثّل فئة الشباب "غمر قلب راشد فرح عظيم (...)" تمّ قال سأكون من بين الفاتحين يا سيدي وسأثار لسيدي الهاشمي (...). لقد أصبح الخليفة يفكر في تزويد المجاهدين بالأسلحة الفتاكة²⁹ حماس إزداد فتيله كلّما تقدّمت الأيام وشارف القوم على تحقيق ما كانوا يصبون إليه.

مسألة تشجيع كبار السن الشباب على الجهاد: وحثهم على الدفاع عن ربوع الوطن "ابتسم الشيخ الطاهر ولم يعلّق سرّاً بكلام ابنه النحيف الذي أصبح يعلّق عليه الآمال في مواصلة سيرة أجداده العلماء (...). تنحنح الحاج يحيى وقال مخاطباً شقيقه: لقد جعلت ابنك يتحمّس كثيراً للجهاد وقبل أن ينهي دراسته³⁰ هكذا كان يرى الرجال في الجزائر على تحمّل المسؤولية والشجاعة، والبطولة، وأخذ المبادرة.

اليقين والإعتقاد الحاسم بتحرير وهران: "ستحرّر وهران إذا ما أجمع شمل كل قبائل البايليك وتخلّت حامية الأتراك عن قمع السكان العاجزين عن دفع الضرائب، فالعلاقة الطيبة بين الأتراك والجزائريين ستمكن الجزائر من تحرير وهران مهما كانت قوات الأسبان"³¹ ليثبت بذلك الروائي محمد مفلح أن النصر لم تصنعه أيادي الأتراك وإنما كان بأيادي جزائرية آمنت، وشاركت، وأيقنت بأنّ التحرير لن يعطى وإنما يؤخذ بالجهاد وتأزر جميع الفئات.

إعتراف الباي محمد الكبير بفضل علماء وأعيان القبائل: "نحمد الله على هذا النصر المبين الذي تمّ بفضل تضحياتكم، إنبسطت أسارير الحاضرين وهم ينصتون إلى الباي وهو يثني على حامية الأتراك ورجال القبائل ومشايخ الزاوية والمرابطين والمتطوّعين من سكان البايليك (...). لقد أرسلت الشيخ أحمد بن هطال إلى وهران لتنظيم عودتنا إلى وهران المحرّرة ثمّ التفت إلى ابنه الخليفة عثمان قال له بلهجة أمرة: استعدوا غدا إلى العودة"³² مقطع سردي لم يدرجه الروائي عبثاً وإنما تأكيداً ودليلاً على أن تحرير وهران كان مناصفة بين الأتراك والجزائريين.

6. خاتمة:

لذا يمكننا القول: إن رواية **شعلة المايادة** تصنّف ضمن الرواية الجزائرية التاريخية التي حققت نضجاً فنياً أدبياً من حيث العناصر السردية، المستدعية للحادثة التاريخية لا لتحقيق جماليات الإستحضار وحسب أو لتعليم الناشئة تاريخ وهران، وإنما لتوثيق صحيح بغية توصيل حلقة مفقودة، فالقيادة كانت للأتراك والمشاركة والتضحية جزائرية ما أدى إلى تعاضد عوامل عدّة من أجل صنّع النصر: كالتوكّل على الله عزّ وجل، وتضافر الجهود (علماء ومشايخ وأعيان القبائل)، وصدق النية؛ لتحرّر وهران على أيدي أبنائها ويصبح بذلك الحلم حقيقة .

وعليه يبنى فعل التجريب في رواية **شعلة المايادة** لمحمد مفلح على هاجس التصحيح دون المساس بالخصوصية الجمالية للعمل الأدبي عامة وللفن الروائي خاصة.

7. الهوامش:

¹ عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة (الأنبئة السردية والدلالية)، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ج. 2، ط. 1، 2013، ص. 5

² عبد الواحد الرجال، التجريب في النص الروائي الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة العربي بن مهيدي كلية الآداب واللغات (قسم اللغة والأدب العربي)، أم البواقي (الجزائر)، 2014-2015، ص. 1.

³ حلمي محمد قاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط. 2، 2010، ص. 15.

⁴ المرجع نفسه، ص. 123

- ⁵- المرجع نفسه، ص. 147
- ⁶- الطاهر بلحية، الرواية العربية الجديدة (من الميثولوجي إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي)، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ط. 1، 2017، ص. 107
- ⁷- محمد مفلح، شعلة المائدة وقصص أخرى، أيدكوم للنشر والتوزيع، قسنطينة (الجزائر)، د. ط، 2013، ص. 20
- ⁸- المصدر نفسه، ص. 55
- ⁹- المصدر نفسه، ص. (10، 11)
- ¹⁰- المصدر نفسه، ص. 21
- ¹¹- المصدر نفسه، ص. 102
- ¹²- المصدر نفسه، ص. 102، 103
- ¹³- المصدر نفسه، ص. 62، 63
- ¹⁴- المصدر نفسه، ص. 25، 28
- ¹⁵- المصدر نفسه، ص. 59
- ¹⁶- المصدر نفسه، ص. 60
- ¹⁷- المصدر نفسه، ص. 211
- ¹⁸- المصدر نفسه، ص. ن
- ¹⁹- المصدر نفسه، ص. 228
- ²⁰- ينظر المصدر نفسه، ص. 223
- ²¹- المصدر نفسه، ص. 61، 62.
- ²²- الطاهر بلحية، الرواية العربية الجديدة (من الميثولوجي إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي)، ص. 147
- ²³- محمد مفلح، رواية شعلة المائدة وروايات أخرى، ص. 212، 222
- ²⁴- المرجع السابق، ص. 171
- ²⁵- المصدر السابق، ص. 30
- ²⁶- المصدر نفسه، ص. 31
- ²⁷- المصدر نفسه، ص. 28
- ²⁸- المصدر نفسه، ص. 36، 37
- ²⁹- المصدر نفسه، ص. 35
- ³⁰- المصدر نفسه، ص. 37
- ³¹- المصدر نفسه، ص. 52
- ³²- المصدر نفسه، ص. 215

8. قائمة المراجع:

- حلمي محمد قاعود، الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (دراسة تطبيقية)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط. 2، 2010، ص. 15
- الطاهر بلحية، الرواية العربية الجديدة (من الميثولوجي إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي)، ابن النديم للنشر والتوزيع الجزائر، ط. 1، 2017، ص. 107

-
- عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة (الأنبئة السردية والدلالية)، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ج.2، ط.1، 2013، ص.5
 - عبد الواحد رحال، التجريب في النص الروائي الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة العربي بن مهيدي كلية الآداب واللغات (قسم اللغة والأدب العربي)، أم البواقي (الجزائر)، 2014-2015، ص.1
 - محمد مفلح، شعلة المائدة وقصص أخرى، أيدكوم للنشر والتوزيع، قسنطينة (الجزائر)، د.ط، 2013، ص.20